

الفصل السابع

ماليزيون ولكنهم صينيون

لا يستطيع الزائر لماليزيا تجاهل النفوذ الصيني الطاعني، فالصينيون يهيمنون على النسبة الأكبر من الاقتصاد، وحتى الشركات التي تبدو ملاوية الطابع قد تجد الصينيين يملكون معظمها، حتى المدارس الإسلامية ذاتها فإن الصينيين هم من يورد لها الكتب والمستلزمات.

والبعض يشبه الصينيين بالزيت في الماء لا يمتزج به ولا يذوب فيه ولا يحدث أي تأثير في خواصه، ولكنه يطفو فوقه؛ بعكس العرب الذين اختلطوا بالمجتمع الملاوي وذابوا فيه تمامًا وأثروا فيه وصبغوه بالصبغة الإسلامية السنية، وأكثرهم يمنيون من محافظة حضر موت غالبًا.

فالعرب ذابوا في المجتمع الملاوي كالسكر في الماء؛ صحيح أنه يختفي تمامًا ويفقد خواصه الفيزيائية، إلا أنه يؤثر في الماء بشدة ويغير طعمه تمامًا، فقد تمت مقايضة الدين باللغة، وياها من صفقة رابحة.

أما الصينيون فنادرًا ما يحدث حالة زواج بينهم وبين الملايو وهم أقل الفئات إقبالًا على اعتناق الإسلام، ويعيشون في تجمعاتهم الخاصة ويحتفظون بشخصيتهم التي جاءوا بها من الصين، فالصينيون شجرة لم تستطع أن تمد جذورها في أرضية المجتمع الملاوي، وإن كانوا أمسكوا بتلابيب القطاع الخاص ورؤوس الأموال، ولذلك يعيش بعضهم في تجمعات سكنية خاصة بهم.

وهم أكثر الشعوب مادية، برغم أن الصورة النمطية عن شعوب الشرق أنها تميل للروحانيات أكثر من الغرب المادي، إلا أن الحقيقة أن مادية الصينيين تفوق كل تصور، فبرغم وجود الأديان في الصين منذ القدم كالإسلام والمسيحية والديانات الأرضية كالطاوية والبوذية إلا أن غالبيتهم العظمى تعزف عن اعتناق أي ديانة، وما تعاليم كونفوشيوس المنتشرة في الصين إلا عبارة عن وصايا أحد الأشخاص ببعض النصائح الخلقية كطاعة الأكبر سنًا وطاعة الزوجة لزوجها.. إلخ بدون التطرق لموضوع العبادة أو الأديان أو الدار الآخرة، بل هي أقرب لكلام التنمية البشرية منها إلى اعتبارها عقيدة دينية.

وبرغم أن معظمهم قد يصنفون أنفسهم على أنهم بوذيين، إلا أنهم لا يأخذون موضوع الأديان بقدر كبير من الاهتمام، فتجد البوذي يمارس طقوس طاوية مثلاً، بدون أن يعتبر ذلك كفرًا أو خروجًا من ملته البوذية، بل الأمر غاية في البساطة.



معبد بوذي

والصينيون أقل تعصبًا من الهنود ومساحة اهتمامهم بمسألة الأديان أقل منهم بشكل ملحوظ، والجميع يعرف أن للإسلام شأن مختلف عن بقية الأديان، وقد قال لي أحد المسلمين بماليزيا أنه سأل أحد معتنقي ديانة هندية عن سبب موقفه السلبي من الإسلام، فأجابه بأن السبب هو تعصب المسلمين

الزائد لدينهم، فاحتج عليه المسلم بأن المسلمين لا يضطهدون الأقليات الدينية في بلدانهم و يتيحون لهم حرية العبادة، على عكس الأقليات المسلمة التي تعاني من الاضطهاد في الدول الأخرى، فأجابه الرجل بأن المسلمين يقولون في الأذان: «الله أكبر» أى أن إلههم أكبر وأعظم من كل الآلهة، وهذا هو قمة التعصب!!

فالمشكلة عنده لا تكمن في اعتناق اعتقاد مخالف بقدر ما يرفض اعتبار أن هذا هو الحق الذي لا حق غيره، وهو بهذا الفهم يعي تمامًا حقيقة الإسلام وحقيقة كلمة التوحيد، فالشخص إذا أراد الدخول في الإسلام لا يقول: «الله إله» بل يقول: «لا إله إلا الله» فليس مجرد يثبت الألوهية لله بل ينفيها عن كل من سواه.

والصينيون لا يعرفون حلالاً ولا حرام، فهم يأكلون أي شئ، فيأكلون الحشرات والثعابين والكلاب والحمير.

وابن بطوطة، الرحالة المسلم الشهير، الذي طاف العالم قال في مذكراته أنه أثناء إقامته بالصين تحديداً كان «متغير المزاج لا يخرج من بيته إلا لضرورة بسبب كثرة المنكرات بينهم».

فالحي الإسلامي في العاصمة الصينية بكين، يطلق عليه «حي البقر» أو «حي البقرة» باعتبار أن المسلمين يأكلون لحم البقر المذبوح وفق الشريعة الإسلامية ويرفضون أكل كثير من الحيوانات.

«بينانج» ذهبت إلى الصين

يعيش عدد كبير من الصينيين في جزيرة بينانج، ويفوز فيها دائماً المرشحون الصينيون في الانتخابات، فالصينيون تجمعوا في هذه الجزيرة وتوسعوا في شراء الأراضي من المسلمين حتى أصبحت المنطقة ذات طابع مختلف عن باقي المناطق الماليزية؛ مما سبب قلقاً لدى عدد من المسلمين الملايو، لأن تجمع الصينيين في هذه الجزيرة يفتح الباب إلى المطالبة بعد ذلك بالاستقلال بعد إجراء استفتاء تشرف عليه الأمم المتحدة وتحرسه الأساطيل الأجنبية كما حدث في إقليم تيمور الشرقية في إندونيسيا، أو المطالبة بالانضمام إلى الصين باعتبار أن سكانها صينيون، كما حدث في شبه جزيرة القرم بشرق أوكرانيا عندما ضمتها روسيا في ٢٠١٤ بحجة أن سكانها من الروس عرقاً ولساناً وانتماءً، بعد استفتاء سريع نتائجه معروفة من قبل.

وقد أوضح لي أحد رموز الدبلوماسية الماليزية أن الصينيين توسعوا في شراء الأراضي في جزيرة بينانج حتى أصبحت جزيرة

صينية والتفت إلى بوجه عابس وقال بلغة عربية فصيحة:
«بينانج ذهبت إلى الصين»

المعركة الديموغرافية

منذ نشأة ماليزيا فإن أكبر هاجس لدى المسلمين الملايو هو خوفهم من أن يتمكن الصينيون من خطف السلطة من المسلمين عن طريق البرلمان، لذلك الكل يهتم بالمشاركة في الانتخابات ويخشى الملايو في حالة تراجع إقبالهم على التصويت في الانتخابات أن يرتفع نصيب تمثيل الصينيين بأكبر من حجمهم الحقيقي ويزيد نفوذهم السياسي بالتبعية.

وقد أثارت الأزمة السياسية الأخيرة التي حدثت بسبب الخلاف بين مهاتير محمد ورئيس الوزراء الحالي نجيب عبدالرزاق والتي بدأت في صيف ٢٠١٥، مخاوف المراقبين الملايو الذين طالبوا مهاتير بالكف عن انتقاد نجيب حرصاً على مكانة الملايو التي تعرضت للتهديد بسبب الخلافات بين الرجلين.

وقد تناقصت نسبة الصينيين في الدولة بشكل أقلقهم بشدة، فنسبتهم نزلت من الثلث إلى أقل من الربع فحسب إحصاءات ٢٠١٠، جاءت نسبة السكان الأصليين من الملايو وغيرهم

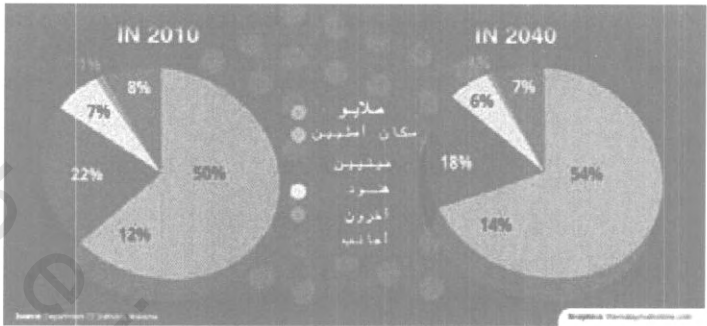
٦٢٪ بينما بلغت نسبة الصينيين ٢٢،٦٪، ٣٦٪.

ونسبة السكان الأصليين في تزايد مستمر ففي عام ١٩٧٠ كانت نسبتهم ٦، ٥٥٪، والصينيين ٣٤٪، بينما في ١٩٩١، بلغت نسبة السكان الأصليين ٧، ٥٨٪، والصينيين ٣، ٢٦٪، وهذا مما أزعج الصينيين بالذات فبدأوا ينشؤون نوادي لتشجيع الشباب والشابات الصينيات على الزواج والإنجاب، لموازنة هذا الاختلال الديموغرافي، وتنظم هذه النوادي حفلات وسهرات ليلتقي فيها الشباب الصيني من الجنسين ليحدث التعارف ومن ثم الزواج.

ونفس الأمر بالنسبة للهنود الذين تناقصت نسبتهم من ٩٪ عام ١٩٧٠، لتبلغ ٥، ٧٪، عام ١٩٩١، لتهبط إلى ٦، ٧٪ في ٢٠١٠.

وتشير توقعات وزارة الإحصاء إلى أن نسبة السكان الأصليين ستصل عام ٢٠٤٠ إلى ٥، ٦٧٪ من مجموع السكان، نسبة الملايو منهم ٥٤٪، وباقي العرقيات من السكان الأصليين ٤، ١٣٪، وسوف تقلص نسبة الصينيين إلى ٤، ١٨٪، والهنود إلى ٦٪.

٣٦ في حين كان عدد الماليزيين عند استقلالهم عام ١٩٥٧م، هو ٦،٣ مليون في الجزء الغربي، يشكل الصينيون ٣٨٪ منهم، و١،١٠٣ مليون في الجزء الشرقي
المصدر: Malaysia's Demographic Transition: Rapid development, Culture, Politics" by Richard Lete



الأقليات السعيدة

وتلقى الأقليات في ماليزيا كل احترام، فالدولة تحترم أعياد ومناسبات وطقوس الأقليات الدينية وتعتبر أعيادهم أجازات رسمية تعطل فيها المصالح الحكومية، ومن أبرزها عيد رأس السنة الصينية الذي يعتبر أجازة رسمية، وتستمر الاحتفالات به خمسة عشر يومًا، ويتم إحياء ذلك العيد بحفل عشاء أسري، وتعتبر رقصة الأسد من السمات المميزة لهذه الاحتفالات، ويعتبر هذا العيد هامًا حدثًا للصينيين حيث تسمى كل سنة باسم أحد الحيوانات في دورة من اثني عشرة سنة.

ويحتفل كذلك الهندوس بأعيادهم كعيد «الوساك» وعيد «تايبوسام» وعيد «ديفالي»^{٣٧} وهو من أهم الأعياد لدى الهندوس والسيخ وأتباع الديانة الجينية أو سيرون في مواكب كبيرة يرفعون فيها التماثيل والصور وقيمون مهرجاناتهم وطقوسهم الدينية بمنتهى الحرية.

^{٣٧} وللعلم فإن ديفالي هو يوم مقدس للسيخ ويوافق يوم مهم في تاريخ صراعهم مع السلطنة الإسلامية في الهند، فهو يوم تحرر زعيمهم هارغوبيند واثنين وخمسين من رجاله من قبضة الامبراطور المسلم جهانكير إمبراطور المغول في الهند، أي أنهم يخلدون ذكريات صراعهم مع المسلمين ومع ذلك لا يسبب ذلك أي مشكلة لهم في ماليزيا.